

(١)

**علو الهمة سبيل الأمم المتحضرة .**

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : {سَابِقُوا إِلَى مَعْرِفَةِ مَنْ رَبَّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

**وبعد :**

فإن الدين الإسلامي بتعاليمه الراقية يحثُّ الناس على علو الهمة ، والجد ، والاجتهاد ، والإعمار ، وينهى عن الكسل ، والخمول ، والإفساد ، وهذا مما جاءت به **الرسالات السابقة**، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : {أَمْ لَمْ يُبَيِّنْ لِي مَا فِي صُحُفِ مُوسَى \* وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى \* أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى \* وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى \* وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى \* ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى} ، ولقد بين النبي (صلى الله عليه وسلم) قدر علو الهمة في قوله (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكُرْمَ ، وَمَعَالِي الْأَخْلَاقِ ، وَيُبْغِضُ سَفْسَافَهَا) ، وقال سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : " لَا تُصْعَرَنَّ هِمَّتَكُمْ ، فَإِنِّي لَمْ أَرَ أَقْعَدَ عَنِ الْمَكْرَمَاتِ مِنْ صِعْرِ الْهَمَمِ " ، وقد قيل : من علامة كمال العقل علو الهمة ، والله در أبي الطيب المتنبي في قوله :

وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئًا \* كَقَصِّ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ

على أن علو الهمة ليس قاصراً على مجال معين ؛ وإنما ينبغي أن يتحقق في كل ما يقوم به الإنسان في حياته ، ومن ذلك : **العبادة** ، فلقد حفز الشرع الشريف على المسارعة ، والمسابقة في ميدان العبادة ، حيث يقول تعالى : {وَسَارِعُوا إِلَى مَعْرِفَةِ مَنْ رَبَّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} ، وقد ضمن الحق سبحانه

(٢)

وتعالى جزيل الأجر لمن سعى ، وجد ، واجتهد في عبادته ، فقال سبحانه : {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا} .

وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) صاحب هممة عالية في كل شئون حياته ، **ومنها عبادته** ، فقد خاطبه ربه سبحانه وتعالى قائلاً : {يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُ \* قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا \* نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا \* أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا \* إِنَّا سَلَقِيَ عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا} ، فكان (صلى الله عليه وسلم) يقوم من الليل حتى تتورم قدماه ، وعندما سئل في ذلك ، قال (صلى الله عليه وسلم) : (أَفَلَا أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا؟) .

وما أكثر تحفيزه (صلى الله عليه وسلم) أصحابه وأُمَّته على **التمييز ، وعلو الهمة** ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ) ، وعن ربيعة بن كعب (رضي الله عنه) ، قال : كُنْتُ أُبَيِّتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوءِهِ وَحَاجَّتِهِ ، فَقَالَ لِي : (سَلْ) ، فَقُلْتُ : أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟) ، قُلْتُ : هُوَ ذَاكَ ، قَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (فَاعْبُدْنِي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ) .

وعلو الهمة في العبادة يقتضي : **حسن أدائها ، وأن يظهر أثرها في سلوك الإنسان وأخلاقه** ، فلا يكذب ، ولا يخون ، ولا يغش ، ولا يأكل أموال الناس بالباطل ، فيتوافق أداء العبادة مع الغاية منها ، فتتحقق الاستقامة التي هي أساس هذا الدين القويم .

ومن أهم ميادين علو الهمة : **ميدان العلم** ، فقد أمرنا النبي (صلى الله عليه وسلم) أن نسأل الله تعالى علما نافعاً يعود أثره على خلق الله تعالى جميعاً ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (سَلُوا اللَّهَ عِلْمًا نَافِعًا ، وَتَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ) ، وكان

(٣)

من دعائه (صلى الله عليه وسلم): (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ... ) ، فالعلم النافع هو السلاح الحقيقي الذي تقوى به الدول ، وتتقدم به الأمم ، فما تقدمت دولة إلا بالعلم ، وما تخلفت أخرى إلا بتكاسلها وتأخرها في ميدان العلم .

وكان الصحابة والتابعون (رضوان الله عليهم) **أعلى الناس هممة في طلب العلم** ، فهذا سيدنا أبو هريرة (رضي الله عنه) كان ذا هممة عالية في طلب الحديث ، وكان يقول : لَمْ يَكُنْ يَشْعَلُنِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) غَرَسُ الْوَادِي ، وَلَا صَفْقُ بِالْأَسْوَاقِ ؛ إِنَّمَا كُنْتُ أَطْلُبُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَلِمَةً يُعَلِّمُنِيهَا... ) ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ (رضي الله عنه): يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ، كُنْتَ أَلْزَمْنَا لِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وَأَعَلَمْنَا بِحَدِيثِهِ ، ويقول سيدنا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) : "... كَانِ لِيَبْلُغُنِي الْحَدِيثُ عَنِ الرَّجُلِ ، فَأَتَيْهِ وَهُوَ قَائِلٌ ، فَأَتَوَسَّدُ رِدَائِي عَلَى بَابِهِ ، فَتَسْفِي الرِّيحُ عَلَيَّ وَجْهِي التُّرَابَ ، فَيَخْرُجُ فَيَرَانِي ، فَيَقُولُ : يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ، مَا جَاءَ بِكَ؟ أَلَا أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ فَآتَيْتَ؟ فَأَقُولُ : لَا ، أَنَا أَحَقُّ أَنْ آتِيكَ ، فَاسْأَلُهُ عَنِ الْحَدِيثِ) ، وقال إسماعيل بن يحيى : سَمِعْتُ الشَّافِعِي (رحمه الله) يقول : حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين ، وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر سنين ، وكان الإمام أحمد (رحمه الله) يحفظ ألف ألف حديث ، وقيل : كان الإمام النووي يحضر في اليوم اثني عشر درساً .

كما جدَّ علماؤنا القدامى في حمل أمانة العلم في كل مجالاته ، **وبلغوا رسالته للناس بكل تجرد** ، إرضاء لله تعالى ، ونفعاً للبشرية كلها ، فسجلوا بذلك أسماءهم وعلومهم بحروف من نور في ذاكرة التاريخ ، قال تعالى : {فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ} .

(٤)

ومن ميادين علو الهمة : **العمل** ، فقد أعلت الشريعة من شأن العمل ، ورفعت منزلته ، حيث ربط القرآن الكريم بين العبادة والعمل ، وجعلهما قرينين ، وفي ذلك يقول الحق (جل شأنه) : {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} ، وقد وعد الله (عز وجل) من أحسن في عمله بالحياة الطيبة في الدنيا ، والنعيم المقيم في الآخرة ، فقال الله سبحانه : {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ، وقال تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا} .

وليس أدل على شرف العمل من أن جميع الأنبياء (عليهم السلام) كانوا يعملون ، فكان آدم وإبراهيم ولوط (عليهم السلام) زُرَّاعًا ، وكان نوح (عليه السلام) نجارًا ، وإدريس (عليه السلام) خياطًا ، وصالح (عليه السلام) تاجرًا ، وداود (عليه السلام) حدادًا ، قال تعالى : {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَّنَا لَهُ الْحَدِيدَ \* أَنْ اْعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} ، فالإنسان تعلق بقيمته ، ويشرف بما يجيد ويحسن ، فالعمل خير من سؤال الناس ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (لَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُرْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا ، فَيُعْطِيَهُ ، أَوْ يَمْنَعَهُ) .

وليس المراد مجرد العمل ؛ وإنما المراد **إتقان العمل** ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَقَّنَهُ) ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حريصًا على أن يكون لكل فرد عمل طيب ، ينفع به نفسه وغيره ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ) ، فَقَالُوا : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ ؟ قَالَ : (يَعْمَلُ يَبِيدُهُ ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ) ، قَالَوا : فَإِنْ لَمْ يَجِدْ ؟ قَالَ : (يُعِينُ ذَا

(٥)

الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفِ) ، قَالُوا : فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ : (فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيُتِمَّسِكَ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ) ، فحث (صلى الله عليه وسلم) من يعجز عن العمل على الإمساك عن ضرر الناس ، وجعل ذلك عملاً يثاب عليه ؛ لأنه وقى الناس من شروره وضرره .  
ومن أعلى درجات الهمة : الهمة في خدمة المجتمع ، وإعانة الضعيف ، وإغاثة الملهوف ، وقضاء حوائج المحتاجين ، والنجدة والشهامة ، فقد جاء رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فقال : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ؟ وَاللَّهِ؟ وَأَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَيَّ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ)؟ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ اللَّهُ أَنْفَعَهُمْ لِلنَّاسِ ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَيَّ اللَّهُ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَيَّ مُسْلِمٍ ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً ، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا ، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا ، وَلَئِنْ أَمْشَيْتَ مَعِ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ - شَهْرًا ، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمِضِيَهُ أَمْضَاهُ ، مَلَأَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) قَلْبَهُ أَمْنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى أَنْتَبَهَا لَهُ ، أَثَبَّتَ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) قَدَمَهُ عَلَيَّ الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزُلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ) .

**أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم**

\* \* \*

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

**إخوة الإسلام :**

إن من أجل الميادين التي ينبغي أن نتنافس جميعًا فيها ، وأن نكون أصحاب همة عالية : **خدمة الوطن** ، فخدمة الوطن من الإيمان ؛ وقد أمرنا الله تعالى بالتنافس في ميدان الخير ، والنفع الذي يعود أثره على الوطن ، حيث يقول الحق

(٦)

سبحانه : { فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيَبْيُئِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } ، وقد مدح الله (جل شأنه) عباده الذين يسارعون في بذل الخير للناس ، ويبين سبحانه أن ذلك الخير ينفع صاحبه في الدنيا والآخرة ، يقول تعالى : { إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ } ، بعلو همة ، ورغبة في نفع الناس ، وثقة كاملة في فضل الله تعالى وتوفيقه .

ومن الهمة العالية : **الهمة في بناء الأوطان** ، وتحمل المسؤولية المجتمعية ، والمنافسة في أعمال البر : من صيانة المساجد ، وبناء المدارس ، وتجهيز المستشفيات ، وعلاج المرضى ، فكل ذلك من الصدقات الجارية ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (سَبْعُ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ ، وَهُوَ فِي قَبْرِهِ : مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا ، أَوْ كَرَى نَهْرًا ، أَوْ حَفَرَ بِنْرًا ، أَوْ غَرَسَ نَخْلًا ، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا ، أَوْ وَرَثَ مُصْحَفًا ، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ) .

فما أجمل أن يكون بيننا **تنافس في خدمة الوطن الذي يحتوينا جميعًا** ، **ويعود خيره وفضله على جميع أبنائه** ، ونحقق ذلك بالتكاتف ، والاتحاد ، والوعي ، والتراحم ، ومد يد العون للجميع ، فالوطن لنا جميعًا ، ويتقدم بنا جميعًا ، ولنا أقل إرادة ، ولا قوة ، ولا جهدًا من غيرنا ، فنحن أصحاب الحضارة ، والأصالة ، والتاريخ ، ولا بد أن نعلم أن تحقيق السبق والتفوق يتطلب اقتحام الصعاب والأهوال ، وإنكار الذات ، فالمكارم منوطة بالمكاره ، والمصالح والخيرات لا يتوصل إليها إلا بالجهد والمشقة ، والله در أبي تمام في قوله :

بصرتُ بالراحة الكبرى فلم أرها \*\* تُنالُ إلا على جسرٍ من التَّعبِ .

**اللهم ارزقنا همما عالية نحوز بها السبق ، والفضل ، والتقدم ، والرقى  
فيما ينفعنا في الدنيا والآخرة ، واحفظ ديننا ، وبلادنا ، وسائر بلاد العالمين .**